9

المدارس التعليمية في بلاد الشام في عصر الدولة المملوكية

أ.د إيمان عباس عيدان

المقدمة :

لقد تأثرت الحركة العلمية والتربوية بمتغيرات سياسية كبيرة في اواسط القرن السابع الهجري وهو غزو المغول وسيطرتهم على معظم المشرق الأسلامي, ومد نفوذهم الى العراق واسقاط الخلافة العباسية سنة656هـ.

اما المتغير الآخر هو قيام دولة المماليك البحرية التي قامت في مصر سنة 648هـ بارسال قواتها الى بلاد الشام وطرد المغول منها في معركة عين جالوت سنة 658هـ، وبذلك اصبحت بلاد الشام جزءا من دولة المماليك البحرية .

ومن هنا فقد ارتأيت ان يكون عنوان بحثي ((المدارس التعليمية في بلاد الشام في عصر الدولة المملوكية)) للكشف عن دلالات ونتائج المتغيرات التربوية والتعليمية .

وقد قسمت بحثي الى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

تناولت في المبحث الأول الفكر التربوي في بلاد الشام في دولة المماليك البحرية باعتباره فكرا مكملاً للفكر التربوي الأسلامي الذي ساد قبل ذلك .

اما المبحث الثاني ، فقد تضمن المدارس التعليمية في بلاد الشام في دولة المماليك البحرية ..

وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت اليها .

تمهيد:

لقد دخلت بلاد الشام ضمن نطاق الدولة الأسلامية سنة 14هـ ، بعد معركة اليرموك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (13-23هـ) ، مما خلق تحول نوعي في مجال التعليم وذلك بسبب عاملين اولهما : ان خروج الصحابة من المدينة المنورة الى الأمصار مع جيوش الفتح ترك اثراً كبيراً في انتشار العلم مما ساعد في تنامي الحركة العلمية في انحاء العالم الأسلامي [1] ، وثانيهما ان الخليفة عمر اعتبر التعليم من مسؤوليات الولاة في الأمصار ، فقد دعم جهود الولاة بارساله العلماء من المدينة يحملون وصاياه ، فقد ارسل معاذ بن جبل الى الشام

لتعليمهم القرآن الكريم[2] ، وارسل عبد الرحمن بن غنم الى الشام لتعليمهم القراءة[3] ، كما امر بأنشاء مسجد في كل مدينة في الشام لتعليم الناس امور دينهم[4] .

وقد استمر هذا الأهتمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (23-35هـ) وخاصة مع وصول مصحف عثمان الى بلاد الشام ، حيث ان اهل الشام قد رفعوا خمسمائة نسخة المصحف في معركة صفين سنة37هـ[5] ، ووزعوه على الأمصار [6] .

وفي العهد الاموي فقد شهدت بلاد الشام تقدما كبيراً في مجال التربية والتعليم ، بسبب قربها من عهد الرسالة اضافة الى الأهمية الدينية التي حضيت بها بيت المقدس ، كذلك الأهمية السياسية التي اكتسبتها دمشق بعد ان اصبحت مركز الخلافة بين سنتي (41-132هـ)، فاتخذت مؤسسات التربية

والتعليم في بلاد الشام مسارات متميزة ، فقد ظهر فيها نظامان للتربية ، احدهما للعامة والاخر للخاصة ،وكانت مؤسسات النظام الأول المساجد والكتاتيب والربط وبيوت الشيوخ ، اما النظام الثاني فكانت مقتصراً على

قصور الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة[7]وقد برز في هذه البلاد خلال العهد الأموي عدد من الأخباريين الذين اهتموا بأخبار الجاهلية وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وينطبق الحال على العلوم الدينية كالقراءات والحديث وعلم الفقه والخطابة ، اما في مجال التفسير فقد ظهرت في بلاد الشام مدرسة تميزت بعدم التشدد وعدم الخوض في مسائل الكلام[8] .

وبعد سقوط الدولة الأموية ،وقيام الدولة العباسية وانتقال عاصمة الخلافة من دمشق الى بغداد، فقد تطورت الدراسات اللغوية والعلمية والفلسفية في العصر العباسي الأول، وقد برز عدد من العلماء الذين اسهموا في هذه الحركة في بلاد الشام ومنهم ابو الحسن السلمي (ت500هـ)[9]، كما كان لهؤلاء العلماء دور بارز في التصدي للغزو الصليبي لبلاد الشام من خلال رفع المعنويات للشعوب في تلك

المنطقة وحثها على الجهاد[10] ، ومع قيام دويلات الأتابكة في بلاد الشام[11] ، برز عماد الدين زنكي (521-541هـ)، ثم ابنه نور الدين محمود (541-570هـ)اللذين اهتما بالجوانب الثقافية والعلمية والدينية اسناداً لسياستهما في التصدي للأفرنج الصليبيين ، فأصبحت بلاد الشام في عصره مقراً للعلماء[12] ، كما شهدت بلاد الشام في العهد الزنكي نهضة علمية ، شملت مختلف الفنون من طب وتاريخ وجغرافية ولغة وتصوف[13] .

ومن ابرز المدن الشامية التي لاقت اهتمام نور الدين زنكي مدينة حلب فقد كانت مقراً لحكمه الأول ، فقد جلب اليها العلماء ، وقام بتجديد المدرسة المعروفة بالحلاويين ، والمدرسة العصرونية ، ومسجد الغضائري[14] ، كما اهتم بدمشق التي اصبحت هي الأخرى في عهده مقرا للعلماء والفقهاء والصوفية ، وقد انشا فيها المدارس والربط والخوانق والمساجد والمستشفيات ، واكثر من دور الحديث والفقه ، وتعد المدرسة النورية والبيمارستان النوري اللتين بناهما في دمشق دليلاً على ذلك[15] .

وفي سنة 570 هـ ، حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي بلاد الشام[16] وكانت سياسته دعم العلم والعلماء ، حيث قام ببناء عدد من المدارس الحنفية والشافعية في القدس ودمشق وحلب، مما يبرز مدينة القدس الشريف والمسجد الأقصى خلال العهد المملوكي الأول في الحركة العلمية ، بعد استعادتها من الصليبيين بفترة قصيرة ، وذلك يعود الى عناية صلاح الدين وخلفائه باعادة الحياة العلمية والدينية الى المسجد الأقصى ، حيث رتبوا للمسجد الأئمة والخطباء والمدرسين ونقلوا اليه كثيرا من المصاحف الشريفة واوقفوا على المسجد الأوقاف عليه[17] .

وقد استمر هذا الأهتمام خلال عهد دولة المماليك البحرية من خلال تزايد اعداد العلماء الذي درسوا في مدرسة القدس ، حتى اصبحت مركزاً لجذب العلماء، وقد تبع صلاح الدين في ذلك

الحكام والأمراء الأيوبيون من بعده [18] ، حيث عملوا على تشجيع العلم والعلماء ، وكان وراء ذلك دوافع عديدة ابرزها استمرار الوجود الصليبي في سواحل الشام وتصدي دولتهم له[19] .

والواقع ان صلاح الدين وبعض الأيوبيين بعده قد وجهوا حركة التربية والتعليم نحو مايخدم سياسة الجهاد ضد الأفرنج.

وشهدت بلاد الشام نشاطاً علمياً بعد صلاح الدين الأيوبي وفي عهد الملك المعظم عيسى ابن العادل (615-624هـ)[20]، حيث كان فقيهاً وعالم نحو وادب ولغة[21]

حيث عمل على استقطاب العلماء من البلاد الأخرى والتدريس فيها [22].

وقد خلف الملك الناصر داؤد اباه في الحكم سنة 624هـ، وقد عرف عنه اهتمامه بالعلم والفلسفة ورعايته الحركة العلمية في دمشق ثم في مدينة الكرك التي انتقل اليها سنة 626هـ، حيث اتسمت الحركة العلمية بالأنفتاح على جميع العلوم وخاصة العلوم العقلية وعلوم اللغة العربية[23]

ولعل هذا الأهتمام الذي اولاه الناصر داوود للعلماء دفعت عدداً منهم للالتحق به بعد انتقاله الى الكرك والأقامة فيها[24] .

كما عمل الأيوبيون على استغلال نظام الوقف لتدعيم حكمهم السياسي والجهاد ضد الأفرنج، ومن ثم وجهت معظم اوقافهم للنفقة على المدارس وبيوت الصوفية ن وفك اسرى المسلمين[25] ، وبعد وفاة الصالح نجم الدين ايوب سنة 647هـ اثناء معركة المنصورة وكان قد عهد الى ابنه توران شاه بولاية العهد [26]،فتسلم الحكم من ارملة والده شجرة الدر [27] وبسبب افتقاره الى الحنكة السياسية واساءته الى مماليك والده ولارملة والده ، قام المماليك بقتله سنة 648هـ ،وبوفاته انتهت الدولة الأيوبية وقامت دولة جديدة هي دولة المماليك البحرية (647هـ)[28]

لقد رافق قيام دولة المماليك تعرضها لمصاعب داخلية وخارجية ، مما اعاق نشاط الحركة العلمية ومن ذلك ماشهدته من نزاع وصراع قام بين المماليك انفسهم ، كذلك الصراع الناشب بين المماليك والأمراء الأيوبيين الذين كانوا يحكمون بلاد الشام والذين رفضوا المماليك واعتبروا حكمهم فاقداً للشرعية [29]

اما اهم المشاكل الخارجية التي واجهت الدولة الناشئة ، صراعها مع الصليبيين ، وان لم يكن لهذا العامل الا تأثير محدود ، مقارنة بتعرض المنطقة للغزو المغولي ، حيث اجتاح المغول بغداد وبعد قضائهم على الدولة العباسية بالزحف نحو بلاد الشام ، حيث عبروا نهر الفرات واحتلوا دمشق وحلب ، مما اضطر كثير من الناس الى الهرب[30]

لقد تزامن مع سيطرة المغول على دمشق ومعظم بلاد الشام تولي السلطان سيف الدين قطز عرش السلطنة المملوكية في مصر ، وقد نجح في رص صفوف المماليك ، واعد عدته ، ثم توجه الى بلاد الشام وخاض سنة (658هـ)معركة حاسمة مع المغول وقائدهم كتبغا وهي معركة عين جالوت التي انتصر فيها المماليك واجبروا المغول الى الجلاء عن بلاد الشام ، وبهذا التاريخ اصبحت بلاد الشام جزءاً من دولة المماليك البحرية[31] وهذا كان له الأثر الكبير في خلق حالة من الأمن والأستقرار، مما ادى الى نشاط الحركة العلمية ، وبعد تولي السلطان بيبرس السلطنة المملوكية بعد المظفر قطز وما قام به من احياء الخلافة العباسية كان له ابرز الاثر في نمو ونشاط حركة التربية والتعليم .

المبحث الأول

مفهوم الفكر التربوي:

اولاً: الفكر لغةً:اعمال الخاطر في الشئ [32] .

اصطلاحاً : هو عمل الذهن تدبيراً وتأملاً في اي شأن من شؤون الحياة او الدين ، وهو شاط بشري أداؤه العقل وثمرته الرأي والعلم والمعرفة [33]

اما التربية لغةً : من ربا يربو ، اي زاد ونما وربى ، نشأ وترعرع [34]

اصطلاحاً، تعني الجهود التي يبذلها الأنسان لأحداث تغيرات مرغوب فيها في البيئة المادية والأجتماعية[35] ،وعليه فان الفكر التربوي يأتي بمعنى ثمرة العلم والمعرفة التي يقوم بها الأنسان لأحداث تغيرات مرغوب فيها في البيئة المادية والأجتماعية.

ثانياً :الافكار التربوية قبل قيام الدولة المملوكية

تأثر الفكر التربوي في بلاد الشام في عهد دولة المماليك البحرية بما طرحه التربويون الأسلاميون عبر عصور التاريخ المختلفة ومن ابرز تلك الآراء:

اولاً الفكر التربوي عند ابن سحنون(ت256هـ)[36] من خلال كتابه: آداب المعلمين[37] يمكن اعتبار كتاب ابن سحنون ، آداب المعلمين ، مرآة تعكس واقع التربية والتعليم في المغرب والأندلس بشكل خاص والعالم الأسلامي بشكل عام ابان القرنين الثاني والثالث الهجريين ، فقد عاش في المغرب وارتحل الى المشرق واطلع على اوضاع التعليم فيهما[38] ،لقد اكد ابن سحنون فضل العلم واهله ، واستند في ذلك على الأحاديث النبوية التي تشيد بالعلم وبفضله وحدد الغاية من دراسة وتعلم القرآن ، فالعلم واجب على كل مسلم ومسلمة [39]

كما تطرق الى الجوانب التربوية التي يفترض بالمعلم اخذها بنظر الأعتبار منطلقاً من منظور فقهي ومستنداً الى احكام الشريعة الأسلامية ، فاشترط عليه ان يعلم طلبته ان يستخدموا ماء الورد اذا ما أرادوا محو كلام مكتوب على اللوح يتضمن قولاً لله تعالى[40]، وان يأمرهم بالصلاة متى بلغوا السابعة من العمر وعلى المعلم تعليمهم العادات والتقاليد حتى تربوا في انفسهم ، كما تناول ابن سحنون واجبات المعلم من زاوية دينية شرعية ، فمن واجبه تعليم الصبيان الأدب والنصيحة لهم والحفاظ عليهم ورعايتهم[41]

اما المنهج التعليمي لدى ابن سحنون ، فقد عكس الأهتمامات التي تشغل مجتمعه ،اذ ركز على تعليم القرآن ، واورد الأحاديث النبوية التي تدعم كلامه ، ومنها تعليم اعرابه والشكل والخط والقراءة والوقف والترتيل[42]

كما شهد القرن السابع الهجري ظهور عدد من المفكرين الذين اسهموا في تشكيل ملامح الفكر التربوي ومن هؤلاء:

ـ الفكر التربوي عند تاج الدين عبد الوهاب السبكي(ت771هـ): بدء السبكي حديثه عن تصوره لما يجب ان تكون عليه طريقة التدريس ، حيث ذكر ان على المعلم مراعاة التدرج في التعليم ، فلا يلقي على الطلاب مالايناسبهم من المشكلات ، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون ، ثم ينتقل بهم الى حل مشكلات الفقه .

ويحدد السبكي للطلاب مهام محددة منها ، المواظبة الا بعذر شرعي، والأبتعاد عن اللغو في الكلام وان يصغوا الى المدرس ، وان عدم التزامهم بذلك يجعلهم لايستحقون شيئاً من المعلوم[43]

ـالفكر التربوي عند ابن خلدون(ت808هـ): تدور آراء ابن خلدون التربوية في فلك الفلسفة العامة للتاريخ والعمران ، فالعلم والتعليم طبيعي في العمران البشري ، وان الفكر هو الذي يميز الأنسان

عن سائر المخلوقات [44]، ون طريق الفكر يهتدي الأنسان الى معاشه والى الأجتماع والتعاون مع بني جنسه [45] .

نظر ابن خلدون الى وظائف العلم وفضله ، على خلاف بقية الفقهاء الذين اصبغوا على التعليم كظاهرة طبيعية في المجتمع الأنساني له وظائفه على صعيد الأفراد والجماعات ، وله ايضاً نتائجه على صعيد العمران البشري.

ومن الطرق الأخرى التي طالب بها ابن خلدون ، عدم ارهاق فكر الطالب والأحاطة بطبيعة هذا الفكر ، وذلك لمراعاة طبيعة المتعلم التي تزداد فهما بالتدرج ، ويؤكدعدم اتخاذ الشدة مع المتعلمين ومعالجة آفة النسيان بالتتابع والتكرار [46]

المبحث الثاني

المدارس التعليمية في بلاد الشام في دولة المماليك البحرية

اولاً : الكتاتيب: مثلت الكتاتيب المرحلة الأولية للتعليم في بلاد الشام ، فقد كان المعلمين يتخذون من بيوتهم كتاباً ، والبعض الآخر فقد كانوا يعلمون الطلبة في سقيفة حول المسجد ، وقد كان الحضور الى الكتاتيب امراً اختيارياً ، ويبتدئ التعليم منذ سن الرابعة حتى العاشرة من العمر، حيث يجلس الطلبة جميعهم في مكان واحد للدراسة على يد معلم واحد ، وربما يقسمون الى فئات عمرية او بحسب قابلية كل طالب في التعلم[47]

بعد ذلك اصبح يشرف على التعليم في الكتاتيب اكثر من معلم ، اضافة الى ملقن يعلم الأطفال قراءة القرآن الكريم وحفظه فاذا ماانفرغ منهم انتقلوا الى حجرة ثانية يتعلمون فيها الكتابة والخط [48] ، كما كان الى جانب المعلم عريف يساعده ويقوم مقامه عند غيابه[49] اما المواد الدراسية ، فقد كانت تتركز على القرآن الكريم والحديث النبوي مع اعطاء بعض مبادئ القراءة والكتابة [50]

وقد اعتمد التعليم اسلوب التلقين ، اذ يجلس الطلاب حول معلمهم على حصير مفروش على الأرض ، الى جانبه دواليب توضع فيها المصاحف والأقلام والألواح، وكان الطلاب يكتبون دروسهم على الواح الطين ، والتي تصقل وتدهن بلون داكن ويكتب عليها بواسطة طين جاف او الفحم وكان المعلم يصرف عليهم الأقلام والمواد والالواح[51]، كما كان المعلم يؤدب الطلاب ،

حيث يسمح له بالضرب على الأفخاذ واسافل الرجلين اذا اساؤا الأدب والفحش في الكلام ، وايضاً يهتم المعلم بالتربية الدينية ، فقد كان يأمر الصبيان بالصلاة في سن السابعة ويضربهم في العاشرة والتأكيد على الأخلاق والآداب الحسنة والطهارة [52]

ومع انتهاء الطلبة من مرحلة الكتاب يلتحقون بحلقة من حلقات المساجد التي تدرس فيها الكتب السهلة ، فاذا وفقوا في ذلك انتقلوا الى مسجد لمجالسة مشاهير الشيوخ الذين يدرسون كتباً ذات مستوى اعلى في علوم مختلفة ، فاذا اظهروا الرغبة في الأستمرار كانوا يلتحقون بمدارس دمشق او حلب او بيت المقدس[53] ونشير الى ان بلاد الشام شهدت

وجود مكاتب للأيتام انشأها المماليك واوقفوا عليها الأوقاف للأنفاق على شؤونها[54] ، اما اعداد الأطفال فلم يكن محددا ، وبعضها يحتوي على عشرين يتيما وقد يصل الى اربعين[55].

ثانياً : المساجد

احتلت المساجد مكانة عظيمة عند المسلمين في المجتمع الأسلامي ، فهو يمثل احدى ركائزه التي لا يقوم بدونها ، فقد كان المكان الذي تؤدى فيه الشعائر الدينية والمعهد الذي يتعلمون فيه امور دينهم ، والمكان الذي يجتمعون فيه لمناقشة القضايا السياسية والأدارية والعسكرية [56]

لقد كان للمسجد دور مهم في التعليم منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ،فقد عقدت فيه حلقات العلم في مسجده بالمدينة المنورة ، كما ازدادت اهميته في المجال الثقافي والتعليمي في عهد الخلفاء الراشدين[57].

وكانت المساجد في المدن الكبرى على نوعين :

1) الجوامع التي تقام فيها صلاة الجمعة ،بالأضافة الى الصلوات الخمسة

2) المساجد التي تقام فيها الصلوات الخمس[58]

اهتم بنو امية وبعدهم الخلفاء من بني العباس ببناء المساجد وتوسيعها ، فبنوا المسجد الأموي في دمشق وتوسيعه فيما بعد وعملوا على صيانة المسجد الأقصى ، وقاموا بتوسيع المسجد النبوي ، كذلك الحال بالنسبة للعباسيين الذين وسعوا المسجد

الأموي في عهد الخليفة المهدي، وبنوا الجامع المنصور في بغداد[59] .

لقد تقدمت الحركة العلمية في بلاد الشام في العهدين الزنكي والأيوبي بشكل كبير ، وكان للمساجد دورها الفعال في هذا المجال ، وخاصة تعليم العلوم الدينية

وكان جانب من بلاد الشام يحتله الأفرنج الصليبيون الذين اسسوا اربعة امارات لهم في الرها وانطاكيا والقدس وطرابلس ، فكان على القوى الحاكمة فيها مقاومة الأفرنج [60]

وكان لابد من العناية بالحركة العلمية ومنها اقامة المساجد التي كان لها دور كبير في تعبئة المسلمين ضد الأعداء .

وقد شهدت بلاد الشام خلال الحقبتين الزنكية (521ـ570هـ) والايوبية (570ـ648هـ) اتساعاً كبيراً في اعداد المساجد والمدارس في دمشق وحلب والسبب .

حالة الأستقرار السياسي التي عاشتها خلال حكم نور الدين زنكي وخلال العهد الأيوبي ، وقد استمرت هذه المراكز التعليمية تمارس نشاطها في عهد دولة المماليك البحرية [61]

لقد اهتم السلاطين المماليك في بناء المساجد والجوامع في تلك المناطق ، وخاصة في طرابلس وصفد اللتين خضعتا للحكم الصليبي واستطاع المماليك استردادهما ، فقد ارادوا من وراء بناء المساجد تثبيت الحكم الاسلامي فيهما .

ثالثاً: المدارس

تمثل المدارس في التاريخ الأسلامي مرحلة مهمة من مراحل تأسيس المراكز التعليمية ، فقد جاء تأسيسها تالياً لأتخاذ المساجد مراكز تعليمية للمسلمين وملبياً لأتساع الحاجة

للتعليم وبلوغ الثقافة العربية الأسلامية مرحلة متقدمة من التطور [62]

يمثل العصر السلجوقي عصر انتشار المدارس في العراق والمشرق والعالم الأسلامي ومنها دور نظام الملك في اقامة هذه المدارس ودعمها وتخصيص الأوقاف لها

كما انتقلت فكرة انشاء المدارس الى الشام ومصر على يد عماد الدين زنكي ونور

وصلاح الدين الأيوبي وخلفائه من الأيوبيين تعزيزاً لحركة الجهاد ضد الصليبيين[63] شهدت عملية انشاء المدارس انتشاراً واسعاًفي العصرين الزنكي والأيوبي في مناطق بلاد الشام المختلفة ، فقد توسع انشاء المدارس في بلاد الشام في القرن السادس الهجري ، وذلك في عهد نور الدين زنكي (541-569هـ)[64] ، فقد اقيم في العهد الذي سبق فترة حكم نور الدين زنكي16 مدرسة ، وارتفع عددها في عهده الى 58 مدرسة

"[65] تابع صلاح الدين مؤسس الدولة الايوبية سياسة نور الدين زنكي في بناء المدارس ، حيث بلغ عددها في دمشق92 مدرسة[66] اما في القدس ، فقد بلغ عدد المدارس التي انشأت في العهد الأيوبي 12 مدرسة[67] ، وقد سلك المماليك البحرية سيرة الأيوبيين في انشاء المدارس حتى تفوقوا عليهم ، ويعزى السبب في ذلك الى طول سني حكم المماليك والتي تفوق حكم الأيوبيين ، وقد اقيم في مدينة حلب خلال دولة المماليك البحرية 7 مدارس ، ويعزى هذا الأمر الى تركيز عنايتهم على دمشق ، ولوجود اعداد كبيرة من المدارس التي بنيت في حلب في العهدين الأيوبي والزنكي، اما في مدينة القدس فقد حظيت بالأهتمام من قبل الدولة المملوكية لما تتمتع به من اهمية دينية لدى المسلمين .

رابعاً: دور القرآن

كانت دور القرآن تقوم بتدريس القرآن وتحفيظه والأهتمام بعلم القراءات ، وقد بلغ عددها في دمشق في عهد الدولة المملوكية 3 دور للقرآن[68]

ويوجد في حلب دار واحدة لتدريس القرآن ، ودار اخرى لتدريس القرآن والحديث معاً[69]

، كما اقيم في القدس دار واحدة للقرآن[70] ، ودار اخرى للقرآن في حماة [71]

خامسا: دور الحديث: كانت دور الحديث دوراً مستقلة لتدريس الحديث ضمن الجوامع الكبيرة ، كما كانت تشكل قسماً خاصاً داخل المدارس او ضمن احدى المنشآت الصوفية وقد بلغ عددها 16 داراً للحديث[72]

وقد بنيت في حلب منذ العهد الزنكي والأيوبي 5 دور للحديث[73] ، وفي ظاهر حلب 3 دور ودار للحديث في القدس[74]

المدارس التي انشأت في عهد دولة المماليك البحرية

ـ مدارس الفقه: لم يقتصر التدريس في هذه المدارس على الفقه ، بل كانت تدرس معه علوم اخرى ، وقد بلغ عددها 87مدرسة ، وفي مدينة حلب فقد اقيم فيها 7 مدارس خلال دولة المماليك البحرية ، ويلاحظ قلة المدارس في حلب في عهد دولة المماليك البحرية بسبب تركيز عنايتهم على دمشق، ولوجود اعداد كبيرة من المدارس التي بنيت في حلب في العهدين الأيوبي والزنكي ، ويلاحظ ان هناك عناية من الجانب الرسمي للدولة في بناء المدارس في القدس لما تتمتع به من مكانة دينية لدى المسلمين[75]

الخاتمة

لقد توصلت الى النتائج التالية

1) تميز التربوي بتطورات رسمتها الظروف التي أحاطت به ، فكان من الطبيعي ا أن يتمخض عن ذلك ظهور نتاجات لمفكرين رسموا معالم تلك المنطقة ا

ومن ابرز هؤلاء ابن جماعة، والذهبي والسبكي .

2) قدم المفكرون أفكارا تربوية حيوية فقد اتفقوا على وجوب التعليم، والإخلاص في أدائه، باعتباره واجبا دينيا مع تركيزهم على الالتزام بالأخلاقيات العلمية والوظيفية داخل المؤسسات التعليمية.

3) انتشرت المراكز التعليمية في بلاد الشام في عهد دولة المماليك البحرية ، فأقيمت الكتاتيب، والمساجد والمدارس والمكتبات لتعكس تطوراعلميا كبيرا ساد المنطقة في ذلك العصر.

4) المؤسسات التعليمية التي كانت قائمة في العهد الزنكي والأيوبي استمرت في القيام بدورها في دولة المماليك البحرية بسبب العناية التي وفرت لها من قبل المماليك الذين شهدت فترة حكمهم قيام كثير من هذه المراكز العلمية التي شارك في إقامتها العلما والقضاة ورجال الدولة .

5)المكتبات كانت بمثابة للتعلم، ومؤسسات ينفق عليها السلاطين والأمراء والأثرياء لنشر العلم بين الناس، وبخاصة أن الطباعة لم تكن موجودة في ذلك العصر، مما جعل ثمن الكتب مرتفعاً ويتعذر على الطلاب شراؤها.

6) ظهور تطور كبير في موضوعات التعليم المختلفة من علوم ، وتمثل دينية ولغوية، وفي التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والعقلية ببروز كثير من العلماء والفقهاء الذين وضعوا الكثير من المصنفات العلمية في تلك المجالات

وقد أظهرت الدراسة أن وراء تطور الحركة العلمية الواسع والملحوظ في دولة المماليك البحرية، أموراً عدة أهمها تشجيع المماليك للحركة العلمية والاندفاع لمجال العلم والمعرفة من أهل الشام للإفادة من هذه الحركة ثم هجرة العلماء العراقيين إلى بلاد الشام بسبب الغزو المغولي .

الهوامش:

1) العمري :أكرم ضياء، التعليم في عهد السيرة والراشدين، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية ،مؤسسة آل البيت ، عمان 1989م ص73 .

2) ابن حجر: احمد بن علي العسقلاني(ت852هـ) ، الأصابة في تمييز الصحابة ، بيت الأفكار العلمية ، عمان2002 ص 678

3) عبد الرحمن بن تميم ابو غنم بن سعد ، ممن قدم مع ابي موسى الأشعري على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان . ابن منظور: محمد بن مكرم ، مختصر تاريخ دمشق لأبن عساكر ، تحقيق: سكينة الشهابي ، دار الفكر، دمشق 1988م ج15 ، ص7-10

4) ابيض: ملكة ، التربية والثقافة العربية الأسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون

الثلاثة للهجرة ، دار العلم للملايين ،بيروت 1980م ص84ـ87 .

5) معركة صفين وقعت سنة (37هـ/657م) بين علي بن ابي طالب ودام القتال بها عدة ايام ، فلما كاد اهل دمشق بقيادة معاوية ان ينهزموا ، قاموا برفع المصاحف فاستجاب لهم علي اخذاً برأي الأغلبية من اصحاب المعرفة . السيوطي : جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: قاسم الرفاعي ،(دار الأرقم ، دمشق د.ت) ص136

6) الخصيبي: عبد الله بن عمر، قارئ اهل الشام ، كان راس المسجد زمن الوليد بن عبد الملك .(ت118هـ)، ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق ص291ـ292

7) ابيض ، ملكة ، مؤسسات التربية والتعليم في الشام حتى اواسط القرن الرابع الهجري ، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية ، مؤسسة آل البيت ، عمان 1989م ج1،ص166.

8) علي ، تاريخ بلاد الشام ماقبل الميلاد ص337ـ340

9)اليافعي ، عبد الله بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الهند1920م) ج3، ص200 .

10)ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت597هـ) ،فضائل القدس ، تحقيق: جبرائيل سليمان ،ط1(دار الآفاق الجديدة ،بيروت 1979م)ص186..

11)اتخذ السلاجقة في ايام قوتهم اشخاصاً من كبار مماليكهم اطلق عليهم اسم الأتابكة

حتى يكونوا مربين لأولادهم ومنحوهم الأقطاعات الكبيرة ، وبعد ضعف الدولة السلجوقية

، استقل هؤلاء بولاياتهم حتى قسموا الدولة السلجوقية بينهم . ينظر العبادي ، محمد مختار ، التاريخ الأيوبي والمملوكي ، (مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ،دت) ص37ـ 38

12)ابو الفضل ، سميحة ، المدارس والحركة العلمية في حلب في ايام نور الدين محمود ، بحث من المؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام منذ بدايات العصر السلجوقي حتى نهاية العصر المملوكي(القرن الخامس الى القرن السابع

الهجري)جامعة دمشق ـالجامعة الأردنية 2001م) ص605

13) ابو الفضل ، المدارس والحركة العلمية ص605

14)ابن الحنبلي ، الزبد والضرب في تاريخ حلب ، تحقيق: محمد التونجي ، (منشورات مركز المخطوطات والتراث ، الكويت1988م) ص34ـ36 .

15) شميساني ، حسن مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1983م)ص19.

16)العبادي، التاريخ الأيوبي والمملوكي ص295 .

17)العسلي، كامل جميل ، معاهد العلم في بيت المقدس ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان 1980 ،ص35.

18)السامرائي ،حسام الدين ، المدارس مع التركيز على النظاميات ، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية ، المؤسسات والممارسات ، مؤسسة آل البيت ، عمان

1989 ج2،ص630 .

19) المحاسنة، موقف العلماءص175ـ187 19

20) ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة علق عليه محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت 1984م ،

ج 6، ص 2680

21)ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1983م ن ج9 ، ص374

22)الغامدي، علي محمد ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي(589ـ657هـ)،مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ،1988م، 390ـ391 .

23) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ن تحقيق: محمد حسين ربيع ، دار الكتب ، القاهرة 1977، ج5، ص38-39 . 24)ابن واصل ، المصدر نفسه ج5،ص39ـ40 .

35) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ج6، ص90 .

26) الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص 188

27)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ص322

28) النباهين ،علي سالم، نظام التربية الاسلامي في عصر دولة المماليك في مصر، دار الفكر العربي،القاهرة 1981م ص106ـ108 .

29)الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ص190-230 .

30)ابو شامة ، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تحقيق: محمد زاهد الكوثري ، دار الجيل ، بيروت 1972م ، ص203 .

31)النباهين ، نظام التربية الأسلامي، 86

32) ابن منظور،ابو الفضل جمال الدين محمد ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، د.ت ج2 ،ص115 ، الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الجيل ،بيروت، د.ت ج3، ص159 .

33) القادري، احمد رشيد ، الفكر التربوي الأسلامي ، دار جرير ، عمان 2005 ، ص13 .

34) ابن منظور، لسان العرب ج2،ص230

35) بركات لطفي، في الفكر التربوي الأسلامي، دار المريخ ، الرباط 1982م ، ص14 .

36) ، محمد بن سحنون(ت256هـ)، فقيه مالكي، عاش في القرن الثالث الهجري في مدينة القيروان وارتحل الى الشرق لطلب العلم ثم عاد الى بلاده .شمس الدين ، عبد الأمير ، الفكر التربوي عند ابن سحنون ، دار اقرأ، بيروت 1985م ,ص34ـ35 .

37) ابن سحنون، آداب المعلمين ، هي رسالة صغيرة لايتجاوز عدد صفحاتها ستاً وعشرين صفحة ، ولكنها على صغر حجمها تحمل دلالات على جانب كبير من الأهمية .مقال الشافعي ابراهيم ، منشور من كتاب من اعلام التربية الأسلامية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، المجلد الأول 1988م ص52 .

38) شمس الدين ، الفكر التربوي عند ابن سحنون ص41 .

39)ابن سحنون،آداب المعلمين مطبوع ضمن كتاب التربية في الاسلام لأحمد فؤاد

الأهواني ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ،ص253ـ255 .

40) ابن سحنون، المصدر نفسه ص261 .

41) ابن سحنون ، المصدر نفسه ص262 .

42)ابن سحنون، المصدر نفسه ص267 .

43) السبكي،تاج الدين عبد الوهاب ، معيد النقم ومبيد النقم ،تحقيق: محمد علي النجار ، ابو زيد شلبي ،مكتبة الخانجي، القاهرة 1993م،ص15ـ 16

44)السبكي، معيد النعم ومبيد النقم ص107 .

45) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1971م ، ص380 .

46)ابن خلدون، المصدر نفسه ص380ـ381 .

47) ابن خلدون، المصدر نفسه532ـ 533

48)الدوري، عبد العزيز ، مدخل تاريخي ، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية ، المؤسسات والممارسات ، مؤسسة آل البيت، عمان 1989م، ج1،ص21 .

49)ابو الفضل، المدارس والحركة العلمية ص608 .

50) شميساني، مدارس دمشق ص40 .

51)مصطفى، جاسر علي حمود ، بيت عنان ارض وتاريخ ، عمان 1995 ص68

52) ابن الأخوة، محمد بن محمد (ت729هـ)، معالم القربة في احكام الحسبة ، تحقيق: محمد محمود شعبان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1967م ، ص171،170

53)السبكي، معيد النعم ص83 ، شميساني، مدارس دمشق ص7 .

54)المدني ، زياد عبد العزيز ، مدينة حلب في العصر المملوكي الثاني، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة الأردنية 1983 م ص225

55)النباهين ، نظام التربية الأسلامية ص251 .

56)الوشلي، عبد الله قاسم ، المسجد ونشاطه الأجتماعي على مدار التاريخ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت 1990م ،ص17-18 .

57)البخاري،محمد اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ)، صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي ، بيروت1980م ص45 .

58)احمد ، منير الدين ، دور المجالس والحلقات في النظام التربوي الأسلامي حتى القرن الخامس الهجري، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية، مؤسسة آل البيت عمان 1989 ج1،ص289 .

59) ابن كثير ، البداية والنهاية ج5 ،ص132 ، الوشلي ، المسجد ونشاطه الأجتماعي ص132 .

60)النعيمي:عبد القادر بن محمد (ت978هـ) ، الدارس في تاريخ المدارس، فهرسه:ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت1990م) ج2، ص323 .

61) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محب الدين ابي سعيد عمر، دار الفكر العربي ، بيروت 1995م،ج2، ص288 .

62) المقريزي،المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، دارصادر ، بيروت (د.ت) ج2،ص45 .

63)الدوري ، مدخل تاريخي ص27ـ28 .

64) كرد علي،خطط الشام ج6، ص38ـ70 .

65)خليل، عماد الدين ، نور الدين محمود، دار العلم ،بيروت 1980 ص3ـ4 .

66)ابن شداد، الأعلاق ص92 .

67)الحنبلي، الأنس الجليل ص34ـ37 .

68) الحجاج، التعليم في مدينة دمشق ص28 .

69) ابو الفداء ، اليواقيت والضرب ص175

70)الحنبلي، مجير الدين ، الأنس الجليل ج2،ص45 .

71)جبران ، مملكة حماة ص236 .

72) الحجاج،، التعليم في مدينة دمشق ص28

73)ابن شداد ، الأعلاق ص122

74)الحنبلي ، الأنس الجليل ص44ـ45 .

75)مصطفى، جاسر علي حمود ، بيت عنان ارض وتاريخ ، عمان 1995 ص68

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابيض: ملكة ، التربية والثقافة العربية الأسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة للهجرة ، دار العلم للملايين ،بيروت 1980م .

2) ابيض ، ملكة ، مؤسسات التربية والتعليم في الشام حتى اواسط القرن الرابع الهجري ، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية ، مؤسسة آل البيت ، عمان 1989م .

3) ابن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1983م .

4)ابن الأخوة، محمد بن محمد (ت729هـ)، معالم القربة في احكام الحسبة ، تحقيق: محمد محمود شعبان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة 1967م

5) ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة علق عليه محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت 1984م ،

6) ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت597هـ) ،فضائل القدس ، تحقيق: جبرائيل سليمان ،ط1(دار (الآفاق الجديدة ،بيروت 1979م

7) ابن حجر: احمد بن علي العسقلاني(ت852هـ) ، الأصابة في تمييز الصحابة ، بيت الأفكار العلمية ، عمان 2002

8) ابن الحنبلي ، الزبد والضرب في تاريخ حلب ، تحقيق: محمد التونجي ، (منشورات مركز (المخطوطات والتراث ، الكويت1988م

9)ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 1971م ، ص380

10) السبكي،تاج الدين عبد الوهاب ، معيد النقم ومبيد النقم ،تحقيق: محمد علي النجار ، ابو زيد شلبي ،مكتبة الخانجي، القاهرة 1993م.

11) السيوطي : جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: قاسم الرفاعي ،(دار الأرقم ، دمشق د.ت) .

12) ابو شامة ، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تحقيق: محمد زاهد الكوثري ، دار الجيل ، بيروت 1972م

13)شميساني ، حسن مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1983م .

14) البخاري،محمد اسماعيل بن ابراهيم (ت256هـ)، صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي ، بيروت1980م.

15) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن هبة الله (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محب الدين ابي سعيد عمر، دار الفكر العربي ، بيروت 1995م.

16) ابو الفداء ، اسماعيل ، اليواقيت والضرب في تاريخ مدينة حلب، تحق: محمد كمال ،دار العلم، حلب 1989م .

17) المقريزي،المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، دارصادر ، بيروت (د.ت) .

18)ابن منظور،ابو الفضل جمال الدين محمد ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

19) النعيمي:عبد القادر بن محمد (ت978هـ) ، الدارس في تاريخ المدارس، فهرسه:ابراهيم (شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت1990م) .

20) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ن تحقيق: محمد حسين ربيع ، دار الكتب ، القاهرة 1977

21) اليافعي ، عبد الله بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الهند1920م .

المراجع:

1) احمد ، منير الدين ، دور المجالس والحلقات في النظام التربوي الأسلامي حتى القرن الخامس الهجري، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية، مؤسسة آل البيت عمان 1989

2) خليل، عماد الدين ، نور الدين محمود، دار العلم ،بيروت 1980

3) الدوري، عبد العزيز ، مدخل تاريخي ، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية ، المؤسسات والممارسات ، مؤسسة آل البيت، عمان 1989م.

4) السامرائي ،حسام الدين ، المدارس مع التركيز على النظاميات ، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية ، المؤسسات والممارسات ، مؤسسة آل البيت ، عمان 1989

5) شميساني ، حسن مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، دار الآفاق الجديدة ،(بيروت 1983م) .

6) العسلي، كامل جميل ، معاهد العلم في بيت المقدس ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان 1980

لعمري :أكرم ضياء، التعليم في عهد السيرة والراشدين، بحث من ندوة التربية العربية الأسلامية 7 ،مؤسسة آل البيت ، عمان 1989م

الغامدي، علي محمد ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي(589ـ657هـ)،مكتبة الطالب الجامعي 8 ، مكة المكرمة ،1988م

9)ابو الفضل ، سميحة ، المدارس والحركة العلمية في حلب في ايام نور الدين محمود ، بحث من المؤتمر الدولي السادس لتاريخ بلاد الشام منذ بدايات العصر السلجوقي حتى نهاية العصر المملوكي(القرن الخامس الى القرن السابع

(الهجري)جامعة دمشق ـالجامعة الأردنية 2001م

10)القادري، احمد رشيد ، الفكر التربوي الأسلامي ، دار جرير ، عمان 2005 ،

11) المدني ، زياد عبد العزيز ، مدينة حلب في العصر المملوكي الثاني، رسالة مصطفى،

12) جاسر علي حمود ، بيت عنان ارض وتاريخ ، عمان 1995

ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة الأردنية 1983 م .

13) النباهين ،علي سالم، نظام التربية الاسلامي في عصر دولة المماليك في مصر، دار الفكر العربي،القاهرة 1981م .

14) الوشلي، عبد الله قاسم ، المسجد ونشاطه الأجتماعي على مدار التاريخ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت 1990م .